الجزء التاسع والعشرون — سورة المزمل

سورة المزمل

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها المزمل (١) قم الليل إلا قليلا (٢) نصفه أو انقص منه قليلا
(٣) أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا (٤) إنا سنلقى عليك قولا
ثقيلا (٥) إن ناشئة الليل هى أشد وطئا وأقوم قيلا (٦) إن لك فى
النهار سبحا طويلا (٧) واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا (٨)
رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلا (٩) واصبر
على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا (١٠) وذرنى والمكذبين
أولى النعمة ومهلهم قليلا (١١) إن لدينا أنكالا وجحيما (١٢)
وطعاما ذا غصة وعذابا أليما (١٣) يوم ترجف الأرض والجبال
وكانت الجبال كثيبا مهيلا (١٤) إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا
عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا (١٥) فعصى فرعون الرسول
فأخذناه أخذا وبيلا (١٦) فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل
الولدان شيبا (١٧) السماء منفطر به كان وعده مفعولا (١٨)
إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا (١٩)

٥٧٤

## سورة المزمل

**معانى الكلمات :**

**المزمل** : المتلفف بثيابه وهو النبى ﷺ .

**ناشئة الليل** : العبادة التى تنشأ به وتحدث .

**أشد وطأ** : أشد ثباتا للقدم ورسوخا فى العبادة .

**أقوم قيلا**: أثبت قراءة لحضور القلب فيها .

**سبحا** : تصرفا وتقلبًا فى مهماتك .

**تبتل** : انقطع إلى عبادته ـ تعالى .

**أنكالا** : قيوداً شديدة ثقالا .

**وبيلا** : شديداً ثقيلا فظيعا .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن قيام الليل دأب الصالحين وطريق المقربين .

٢ ـ أن نستشعر أثر الخلوة مع الله بعيداً عن الناس ، فالاستغراق فى واقع الحياة يجعل النفس تألفه ولا تحاول تغييره .

٣ ـ أن نعلم أن الصبر هو الوصية من الله لكل رسول من رسله ولعباده المؤمنين .

**المحتوى التربوى :**

تبدأ السورة بدعوة السماء وصوت الكبير المتعال قم:قم يا محمد للأمر العظيم الذى ينتظرك ، والعبء الثقيل المهيأ لك ، قم للجهد والنصب والكد والتعب ، قم فقد مضى وقت النوم والراحة ، قم فتهيأ لهذا الأمر واستعد ، وإنها لكلمة عظيمة رهيبة تنتزعه ﷺ من دفء الفراش فى البيت الهادئ والحضن الدافئ ؛ لتدفع به فى الخضم ، بين الشد والجذب فى ضمائر الناس وفى واقع الحياة سواء .

**يقول صاحب الظلال** : « إن الذى يعيش لنفسه قد يعيش مستريحا ، ولكنه يعيش صغيرا ويموت صغيرا ، فأما الكبير الذى يحمل هذا العبء الكبير .. فما له والنوم ؟ وما له والراحة ؟ وماله والفراش الدافئ والعيش الهادئ والمتاع المريح ؟ ! ولقد عرف رسول الله ﷺ حقيقة الأمر

وقدره، فقال لخديجة رضى الله عنها وهى تدعوه أن يطمئن وينام : « مضى عهد النوم يا خديجة» أجل مضى عهد النوم وما عاد منذ اليوم إلا السهر والتعب والجهاد الطويل الشاق » .

وقد صح عن وتر الرسول ﷺ بالليل أنه لم يتجاوز إحدى عشرة ركعة ، ولكنه كان يقضى فى هذه الركعات ثلثى الليل إلا قليلا ، يرتل فيه القرآن ترتيلا .

كان هذا الإعداد للقول الثقيل الذى سينزله الله عليه هو هذا القرآن،وما وراءه من التكليف، والقرآن فى مبناه ليس ثقيلا فهو ميسر للذكر ولكنه ثقيل فى ميزان الحق ، ثقيل فى أثره فى القلب ، وإن تلقى هذا الفيض من النور والمعرفة واستيعابه لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل ، وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل ، وإن التعامل مع الحقائق الكونية الكبرى المجردة لثقيل يحتاج إلى استعداد طويل ، وإن الاتصال بالملأ الأعلى وبروح الوجود وأرواح الخلائق الحية والجامدة على النحو الذى تهيأ لرسول الله ﷺ لثقيل ، يحتاج إلى استعداد طويل .

**يقول صاحب الظلال** : « وإن قيام الليل والناس نيام ، ومغالبة هتاف النوم وجاذبية الفراش بعد كد النهار أشد وطأ وأجهد للبدن ، ولكنها إعلان لسيطرة الروح ، واستجابة لدعوة الله ، وإيثار للأنس به ، ومن ثم فإنها أقوم قيلا ؛ لأن للذكر فيها حلاوته ، وللصلاة فيها خشوعها ، وللمناجاة فيها شفافيتها ، وإنها لتسكب فى القلب أنسا وراحة وشفافية ونوراً ، قد لا يجدها فى صلاة النهار وذكره ، والله الذى خلق هذا القلب يعلم مداخله وأوتاره ، ويعلم ما يتسرب إليه وما يوقع عليه ، وأى الأوقات يكون فيها أكثر تفتحا واستعداداً وتهيؤا ، وأى الأسباب أعلق به وأشد تأثيراً فيه » .

والله ـ سبحانه ـ وهو يعد عبده ورسوله ، ليتلقى القول الثقيل اختار له قيام الليل ؛ لأن ناشئة الليل هى أشد وطأة وأقوم قيلا ؛ ولأن له فى النهار مشاغله ونشاطه الذى يستغرق كثيراً من الطاقات والالتفات ، فلينقضى النهار فى السبح والنشاط ، وليخلص لربه فى الليل يقوم له بالصلاة والذكر ، وذكر بسم الله هو ذكر القلب الحاضر مع اللسان الذاكر ، أو هو الصلاة ذاتها وقراءة القرآن فيها ، والتبتل هو الانقطاع الكلى عما عدا الله ، والاتجاه الكلى إليه بالعبادة والذكر ، فليس هناك إلا الله يتجه إليه من يريد الاتجاه ، فهو رب كل متجه ، رب المشرق والمغرب وهو الواحد الأحد الذى لا إله إلا هو ، والتوكل عليه هو التوكل على القوة الوحيدة فى هذا الوجود ، ومن هذا التوكل يستمد القوة والزاد للعبء الثقيل فى الطريق الطويل .

ثم وجه الله الرسول إلى الصبر الجميل على ما يلقاه من قومه من الاتهام،والإعراض،والصد ، والتعطيل ، وأن يخلى بينه وبين المكذبين ، ويمهلهم قليلا ، فإن لدى الله لهم عذابا وتنكيلا ، ونجد التوجيه إلى الصبر ، بعد التوجيه إلى القيام والذكر ، وهما كثيراً ما يقترنان فى صدد تزويد القلب بزاد هذه الدعوة فى طريقها الشاق الطويل ، نجد التوجيه إلى الصبر على ما يقولون مما يغيظ ويحنق ، واهجرهم الهجر الجميل الذى لا عتاب معه ولا غضب ، والهجر الجميل مع

التطاول والتكذيب يحتاج إلى الصبر بعد الذكر ، والصبر هو الوصية من الله لكل رسول من رسله ولعباده المؤمنين برسله ، وما يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحد إلا والصبر زاده وعتاده.

وبعد الأمر بالصبر والهجر الجميل يقول الله ـ تعالى: خل بينى وبين المكذبين ، فأنا بهم كفيل، والمكذبون بشر من البشر ، والذى يتهددهم هو الذى أنشأهم ابتداء ، وخلق هذا الكون العريض بكن ولا تزيد ، وهى القاصمة المزلزلة المذهلة حين يخلو الجبار إلى هذه الخلائق الهينة المضعوفة أصحاب الأموال مهما يكن من جبروتهم فى الأرض على أمثالهم من المخاليق ، فمهلهم رويداً ولو مهلهم الحياة الدنيا كلها ما كانت إلا قليلا ، والأنكال هى القيود ، والجحيم والطعام ذو الغصة الذى ينشب فى الحلق ، فلا يدخل ولا يخرج والعذاب الأليم ، كلها جزاء مناسب لأصحاب النعمة الذين لم يراعوا النعمة ولم يشكروا المنعم .

ثم يرسم مشهد هذا اليوم المخيف يوم ترجف الجبال وتخاف وتتفتت وتنهار ، فكيف بالناس المهازيل الضعاف ، ويلتفت السياق أمام مشهد الهول المفزع إلى المكذبين أولى النعمة يذكرهم فرعون الجبار ، وكيف أخذه الله أخذ عزيز قهار ، هكذا فى اختصار يهز قلوبهم ويخلعها خلعا بعد مشهد الأرض والجبال وهى ترجف وتنهار ، فذلك أخذ الآخرة ، وهذا أخذ الدنيا ، فكيف تنجون بأنفسكم وتقوها هذا الهول الرعيب ؟ وإن صورة الهول هنا لتنشق لها السماء ، ومن قبل رجفت لها الأرض والجبال، وإنها لتشيب الأولاد ، وإنه لهول ترتسم صوره فى الطبيعة الصامتة، وفى الإنسانية الحياة ، فى مشاهد ينقلها السياق القرآنى إلى حس المخاطبين كأنها واقعة ، ثم يؤكدها تأكيداً واقعا لا خلف فيه ، وهو ما يشاء فعل وما أراد كان .

وأمام هذا الهول الذى يتمثل فى الكون كما يتمثل فى النفس يلمس قلوبهم لتتذكر وتختار طريق السلامة .. طريق الله ، وإن السبيل إلى الله لآمن ، وأيسر من السبيل المريب إلى هذا الهول العصيب ، وبينما تزلزل هذه الآيات قوائم المكذبين ، تنزل على قلب الرسول ﷺ والقلة المؤمنة المستضعفة إذ ذاك بالروّح والثقة واليقين ، إذ يحسون أن ربهم معهم يقتل أعداءهم وينكل بهم ، وإن هى إلا مهلة قصيرة إلى أجل معلوم ثم يقضى الأمر حينما يجيء الأجل ، ويأخذ الله أعداءه وأعداءهم بالنكال والجحيم والعذاب الأليم ، فإن الله لا يدع أولياءه لأعدائه ، ولو أمهل أعداءه إلى حين .

**ما ترشدنا إليه الآيات تربويًّا :**

١ ـ الأعمال العظيمة تحتاج إلى تدريب وجهد حتى يستطيع الإنسان القيام بها فى يسر وسهولة.

٢ ـ مما يساعد على القيام بالمهمات الشاقة ، التقرب إلى الله ـ تعالى بالعبادة ، وبخاصة قيام الليل وتلاوة القرآن فى تدبر ، وذكر الله والتوكل عليه .

٣ ـ القرآن وما يحمله من تكاليف أمر عظيم يحتاج إلى صبر وجهد حتى ينتفع الناس بما فيه من خير .

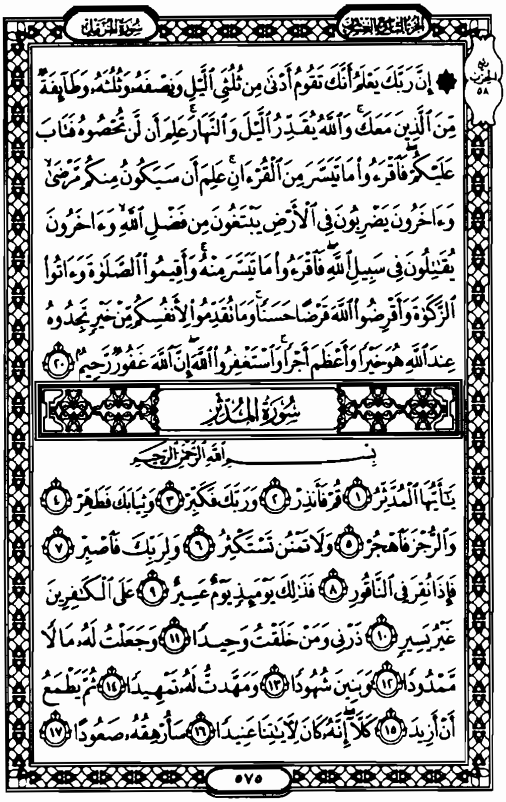


**معانى الكلمات :**

**تحصوه** : تطيقوا ضبط وقت قيامه .

**يضربون** : يسافرون للتجارة وغيرها .

**المدثر** : المتغشى بثيابه ( النبى ﷺ ) .

**وربك فكبر** : عظم ربك .

**والرجز فاهجر** : اهجر المآثم الموجبة للعذاب .

**ولا تمنن تستكثر** : لا تعط وأنت تطلب الكثير .

**نقر فى الناقور** : نفخ فى الصور للبعث والنشور .

**سأرهقه صعودا** : سأعذبه عذابا شديدا .

**الأهداف الإجرائية والسلوكية :**

١ ـ أن نعلم أن الدين يسر .

٢ ـ أن نعلم ألا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب فى حياة المسلم .

٣ ـ أن نتعرف على موقف الشقى الوليد بن المغيرة من نعمة الله عليه .

**المحتوى التربوى :**

تجيء لمسة التخفيف الندية تمسح على التعب والنصب والمشقة ، ودعوة التيسير الإلهى على النبى والمؤمنين ، وقد علم الله منه ومنهم خلوصهم له ، وقد انتفخت أقدامهم من القيام الطويل للصلاة بقدر من القرآن كبير ، وما كان الله يريد لنبيه أن يشقى بهذا القرآن والقيام ، إنما كان يريد أن يعده للأمر العظيم الذى سيواجهه طوال ما بقى له من الحياة ، هو والمجموعة القليلة من المؤمنين الذين قاموا معه ، وفى الحديث مودة وتطمين ؛ إنه رآك ، إن قيامك وصلاتك أنت وطائفة من الذين معك قبلت فى ميزان الله ، إن ربك يعلم أنك وهم تجافت جنوبكم عن المضاجع ، وتركت دفء الفراش فى الليلة القارسة ، ولم تسمع نداء المضاجع المغرى وسمعت نداء الله ، إن ربك يعطف عليك ويريد أن يخفف عنك وعن أصحابك ، والله هو المقدر لليل

والنهار فيطيل من هذا ويقصر من ذاك ، فيطول الليل ويقصر ، وأنت ومن معك ماضون تقومون أدنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه ، وهو يعلم ضعفكم عن الموالاة .

وهو لا يريد أن يعنتكم ولا أن يشق عليكم ، إنما يريد لكم الزاد وقد تزودتم فخففوا على أنفسكم ، وخذوا الأمر هينا ، واقرؤوا ما تيسر فى القرآن فى قيام الليل بلا مشقة ولا عنت ، وهناك أمور تنتظركم تستنفد الجهد والطاقة ، ويشق معها القيام الطويل ، وعلم الله أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار فى ترك قيام الليل من مرضى لا يستطيعون ذلك ، ومسافرين فى الأرض يبتغون من فضل الله فى المكاسب والمتاجر ، وآخرين مشغولين بما هو الأهم فى حقهم من الغرور فى سبيل الله ، والله لا يريد أن تدعوا أمور حياتكم وتنقطعوا لعبادة الشعائر انقطاع الرهبان ، وقد علم الله أن سيأذن لكم فى الانتصار ممن ظلمكم بالقتال ، فخففوا إذن على أنفسكم ، واقرؤوا ما تيسر من القرآن بلا عسر ولا مشقة ولا إجهاد ، واستقيموا على فرائض الدين من الصلاة والزكاة ، وتصدقوا بعد ذلك قرضا لله يبقى لكم خيره ، وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم فى الدنيا ، فالإنسان يقصر ويخطئ فأكثروا من ذكر الله واستغفروه فى أموركم كلها ، فإنه غفور رحيم لمن استغفره .

## سورة المدثر

تبدأ السورة بالنداء العلوى الجليل للأمر العظيم الثقيل ؛ نذارة هذه البشرية وإيقاظها ، وتخليصها من الشر فى الدنيا ، ومن النار فى الآخرة ، وتوجيهها إلى طريق الخلاص قبل فوات الأوان وهو واجب ثقيل شاق حين يناط بفرد من البشر مهما يكن نبيًّا رسولا ، والإنذار هو أظهر ما فى الرسالة ، فهو تنبيه للخطر القريب الذى يترصد للغافلين السادرين فى الضلال وهم لا يشعرون ، وفيه تتجلى رحمة الله بالعباد ، وهم لا ينقصون فى ملكه شيئا حين يضلون ، ولا يزيدون فى ملكه شيئا حين تهتدون ، غير أن رحمته اقتضت أن يمنحهم كل هذه العناية ليخلصوا من العذاب الأليم فى الآخرة ، ومن الشر الموبق فى الدنيا ، وأن يدعوهم رسله ليغفر لهم ويدخلهم جنته من فضله .

ثم يوجه الله رسوله فى خاصة نفسه بعد إذ كلفه نذاره غيره ، يوجهه إلى تكبير ربه ، فهو وحده الكبير الذى يستحق التكبير ، وكل أحد ، وكل شىء ، وكل قيمة ، وكل حقيقة صغير، والله وحده هو الكبير ، وهو توجيه للرسول ﷺ ليواجه نذارة البشرية ، ومتاعبها وأهوالها وهو يستصغر كل كيد ، وكل قوة ، وكل عقبة ، وهو يستشعر أن ربه هو الكبير ، ويوجهه إلى التطهر ، وطهارة الثياب كناية فى الاستعمال العربى عن طهارة القلب والخلق والعمل ، طهارة الذات التى تحتويها الثياب وكل ما يلم بها أو يمسها ، والطهارة هى الحالة المناسبة للتلقى من الملأ الأعلى ، ويوجهه إلى هجران الشرك وموجبات العذاب ، والرجز هو الأوثان ، ويوجهه إلى إنكار ذاته